لأن امارات الحدوث فيه ظاهرة قوله تعالى فلما رأى القمر بازغا يعني طالعا منتشر الضوء قال هذا
ربي معناه ما تقدم من الكلام في الكوكب فلما أفل يعني غاب قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من
القوم الضالين يعني ان لم يثبتني ربي على الهدى ليس المراد انه لم يكن مهتديا لأن الأنبياء لم يزالوا على
الهداية من أول الفطرة وفي هذه الآية دليل على ان الهداية من الله تعالى لأن ابراهيم أضاف الهداية الى الله تعالى
فلما رأى الشمس بازغة يعني طالعة قال هذا ربي يعني هذا الطالع وانه أشار الى الضياء والنور لأنه
رأى الشمس أضوأ من الكوكب والقمر وقيل انما قال هذا ولم يقل هذه لأن تأنيث الشمس غير حقيقي فلهذا
أتى بلفظ التذكير هذا أكبر يعني من الكوكب والقمر فلما أفلت يعني فلما غابت الشمس قال يا قوم
اني بريء مما تشركون يعني انه لما أثبت ابراهيم عليه السلام بالدليل القطعي ان هذه النجوم
ليست بآلهة ولا تصلح للربوبية تبرأ منها وأظهر لقومه انه بريء مما يشركون ولما أظهر خلاف قومه
وتبرأ من شركهم أظهر ما هو عليه من الدين الحق فقال اني وجهت وجهي يعني صرفت وجه عبادتي
وقصدت بتوحيدي للذي فطر السماوات والأرض يعني للذي خلقهما وابتدعهما حنيفا يعني مائلا عن
عبادة كل شيء سوى الله تعالى وأصل الحنف الميل وهو ميل عن طريق الضلال الى طريق الاستقامة وقيل الحنيف
هو الذي يستقبل الكعبة في صلاته وما أنا من المشركين تبرأ من الشرك الذي كان عليه قومه قوله عز وجل
وحاجه قومه يعني وخاصمه قومه وذلك لما أظهر ابراهيم عليه السلام عيب آلهتهم التي كانوا
يعبدونها وأظهر التوحيد لله عز وجل خاصمه قومه وجادلوه في ذلك فقال أتحاجوني في الله يعني
أتجادلونني في توحيده وقد هداني يعني وقد بين لي طريق الهداية الى توحيده ومعرفته وقال البغوي
ولما رجع ابراهيم الى أبيه وصار من الشباب بحالة سقط عنه طمع الذابحين وضمه آزر الى نفسه فجعل
آزر يصنع الأصنام ويعطيها ابراهيم ليبيعها فيذهب بها ابراهيم وينادي من يشتري ما يضره ولا ينفعه
فلا يشتريها أحد واذا بارت عليه ذهب بها الى نهر فضرب فيه رؤوسها وقال اشربي استهزاء بقومه
وبما فيهم من الضلالة حتى فشا استهزاؤه بها في قومه وأهل قريته فحاجه قومه يعني خاصمه وجادله
قومه في دينه قال يعني ابراهيم أتحاجوني في الله وقد هدان يعني الى توحيده ومعرفته ولا أخاف
ما تشركون به وذلك انهم قالوا له احذر الأصنام فانا نخاف ان تمسك بخبل أو جنون لعيبك اياها
فأجابهم بقوله ولا أخاف ما تشركون به فانها جماد لا تضر ولا تنفع وانما يكون الخوف ممن يقدر
على النفع والضر وهو قوله الا ان يشاء ربي شيئا يعني لكن ان يشاء ربي شيئا كان ما يشاء لأنه قادر على النفع
والضر وانما قال ابراهيم ذلك لاحتمال ان الانسان قد يصيبه في بعض حالاته وأيام عمره ما يكرهه
فلو أصابه مكروه لنسبوه الى الأصنام فنفى هذه الشبهة بقوله الا ان يشاء ربي شيئا وهذا استثناء
منقطع وليس هو من الأول في شيء والمعنى ولكن ان يشاء ربي شيئا كان وسع ربي كل شيء علما يعني
أحاط علمه بكل شيء فلا يخرج شيء عن علمه أفلا تتذكرون يعني أفلا تعتبرون فتعلمون ان هذه الأصنام
جماد لا تضر ولا تنفع وان النافع الضار هو الذي خلق السماوات والأرض ومن فيهما وكيف أخاف ما
أشركتم يعني وكيف أخاف الأصنام التي أشركتم بها لأنها جماد لا تبصر ولا تسمع ولا تضر ولا تنفع
ولا تخافون أنكم أشركتم بالله يعني وأنتم لا تخافون وقد أشركتم بالله وهو من أعظم الذنوب ما لم
ينزل به عليكم سلطانا يعني ما ليس لكم فيه حجة وبرهان فأي الفريقين أحق بالأمن ان كنتم تعلمون
يعني أي الفريقين أولى بالأمن من العذاب في يوم القيامة الموحد أم المشرك الذين آمنوا ولم يلبسوا
ايمانهم بظلم وهذا قضاء من الله بين ابراهيم وبين قومه يعني ان الذين يستحقون الأمن يوم القيامة
هم الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم وقيل هو من تمام كلام ابراهيم في المحاجة لقومه والمعنى ان الذين
يحصل لهم الأمن يوم القيامة هم الذين آمنوا بالله وحده ولم يشركوا به شيئا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم
يعني ولم يخلطوا ايمانهم بشرك ق عن ابن مسعود قال لما نزلت الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم شق

ذلك على

ذلك على المسلمين وقالوا أينا لا يظلم نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ذلك انما هو
الشرك ألم تسمعوا قول لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وفي رواية ليس هو كما تظنون
انما هو كما قال لقمان لابنه وذكره وقيل في معنى قوله ولم يلبسوا ايمانهم بظلم يعني ولم يخلطوا ايمانهم بشيء
من معاني الظلم وذلك بأن يفعل بعض ما نهى الله عنه أو يترك بعض ما أمر الله به فعلى هذا تكون الآية على
العموم لأن الظلم يخص به معنى من معاني الظلم دون غيره والصحيح ان الظلم المذكور في هذه الآية هو الشرك
لما تقدم من حديث ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم فسر الظلم هنا بالشرك وفي الآية دليل
على ان من مات لا يشرك بالله شيئا كان عاقبته الأمن من النار لقوله أولئك يعني الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم لهم
الأمن يوم القيامة من عذاب النار وهم مهتدون يعني الى سبيل الرشاد قوله تعالى وتلك حجتنا آتيناها
ابراهيم على قومه يعني ما جرى بين ابراهيم وبين قومه واستدل على حدوث الكوكب والقمر والشمس بالأفول
وقيل لما قالوا لابراهيم أما تخاف عليك من آلهتنا لسبك اياها فقال أفلا تخافون أنتم اياها اذ سويتم بين
الصغير والكبير في العبادة أن يغضب الكبير عليكم وقيل انه خاصم قومه المشركين فقال أي الفريقين أحق بالأمن
من يعبد الها واحدا مخلصا له الدين والعبادة أم من يعبد أربابا كثيرة فقالوا من يعبد الها واحدا فقضوا على
أنفسهم فكانت هذه حجة ابراهيم عليهم نرفع درجات من نشاء يعني بالعلم والفهم والعقل والفضيلة
كما رفعنا درجات ابراهيم حتى اهتدى الى محاجة قومه وقيل نرفع درجات من نشاء بالنبوة في الدنيا والعلم
والحكمة وفي الآخرة بالثواب على الأعمال الصالحة ان ربك حكيم عليم يعني انه تعالى حكيم في جميع
أفعاله عليم بأحوال خلقه لا يفعل شيئا الا بحكمة وعلم قوله عز وجل ووهبنا له اسحاق ويعقوب لما أظهر
ابراهيم عليه السلام دينه وغلب خصمه بالحجج القاطعة والبراهين القوية والدلائل الصحيحة التي جعلها
الله تعالى اياها وأهداه اليها عدد نعمه عليه واحسانه اليه بأن رفع له رتبته في عليين وأبقى النبوة
في ذريته الى يوم الدين فقال تعالى ووهبنا له يعني لابراهيم اسحاق يعني ابنه الصلبي ويعقوب يعني ابن
اسحاق وهو ولد الولد كلا هدينا يعني هدينا جميعهم الى سبيل الرشاد ووفقناهم الى طريق الحق والصواب
ونوحا هدينا من قبل يعني من قبل ابراهيم أرشدنا نوحا ووفقناه للحق والصواب ومننا عليه بالهداية
ومن ذريته اختلفوا في هذا الضمير الى من يرجع فقيل يرجع الى ابراهيم يعني ومن ذرية ابراهيم داود
وسليمان وقيل يرجع الى نوح وهو اختيار جمهور المفسرين لأن الضمير يرجع الى أقرب مذكور ولأن الله تعالى ذكر
في جملة هذه الذرية لوطا وهو ابن أخي ابراهيم ولم يكن من ذريته فثبت بهذا ان هاء الكناية ترجع الى نوح
وقال الزجاج كلا القولين جائز لأن ذكرهما جميعا قد جرى وداود هو ابن ايشا وكان ممن آتاه الله الملك والنبوة
وكذلك سليمان بن داود وأيوب هو أيوب بن أموص بن رازح بن روم بن عيص بن اسحاق بن ابراهيم ويوسف هو ابن
يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم وموسى هو ابن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وهارون هو أخو
موسى وكان أكبر منه بسنة وكذلك نجزي المحسنين يعني وكما جزينا ابراهيم على توحيده وصبره على
أذى قومه كذلك نجزي المحسنين على احسانهم وزكريا هو ابن أذن بن بركنا ويحيى هو ابن زكرياء وعيسى هو ابن
مريم بنت عمران والياس قال ابن مسعود هو ادريس وله اسمان مثل يعقوب واسرائيل وقال محمد بن اسحاق
هو الياس بن نسي بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران وهو الصحيح لأن أصحاب الأنساب يقولون ان ادريس
جد نوح بن لامك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس ولأن الله تعالى نسب الياس في هذه الآية الى نوح وجعله
من ذريته كل من الصالحين يعني ان كل من ذكرنا من الصالحين واسماعيل هو ابن ابراهيم وانما أخر ذكره
الى هنا لأنه ذكر اسحاق وذكر أولاده من بعده على نسق واحد فلهذا السبب أخر ذكر اسماعيل الى هنا
واليسع هو ابن أخطوب بن العجوز ويونس هو ابن متى ولوطا هو ابن أخي ابراهيم وكلا فضلنا على
العالمين يعني على عالمي زمانهم ويستدل بهذه الآية من يقول ان الأنبياء أفضل من الملائكة لأن العالم
اسم لكل موجود سوى الله تعالى فيدخل فيه الملك فيقتضي ان الأنبياء أفضل من الملائكة واعلم ان الله

Copyright ... University